مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ٢٠٢٦ المجلد ١٦/ العدد ٩

الجماليات البلاغية في شعر محمد مهدي الجواهري: دراسة تحليلية في قصيدة (يا دجلة الخير)

إعداد الباحث: د. علاء فليح حسن

معهد تقني بابل/ جامعة الفرات الأوسط ،بابل، العراق

البريد الإلكتروني Email : alaa.hasan.iba2@atu.edu.iq

الكلمات المفتاحية: الجواهري، البلاغة، الاستعارة، يا دجلة الخير، الشعر العربي الحديث.

كيفية اقتباس البحث

حسن، علاء فليح ، "الجماليات البلاغية في شعر محمد مهدي الجواهري: دراسة تحليلية في قصيدة (يا دجلة الخير)" ،مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، أيلول ٢٠٢٦، المجلد:١٦ ،العدد:٩ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

Rhetorical Aesthetics in the Poetry of Muhammad Mahdi Al-Jawahiri: An Analytical Study of the Poem 'O Tigris of Goodness'

Alaa Flayih Hasan
Babel Technical Institute, Middle Euphrates University, Babylon, Iraq
alaa.hasan.iba2@atu.edu.iq

Keywords : Rhetoric, Al-Jawahiri, Metaphor, Allegory, Simile, Stylistics, Modern Arabic Poetry

How To Cite This Article
Hasan, Alaa Flayih , Rhetorical Aesthetics in the Poetry of Muhammad Mahdi Al-Jawahiri: An Analytical Study of the Poem 'O Tigris of Goodness' ,Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, September 2026,Volume:16,Issue 9.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract:

This study examines the rhetorical dimensions of Al-Jawahiri's poetry (1903–1997) through analytical and critical lenses, exploring the key rhetorical techniques he employed across the sciences of bayan, badi', and ma'ani. It argues that Al-Jawahiri employed rhetoric not merely as an aesthetic device, but as a vehicle for conveying his intellectual vision and emotional experience—whether in patriotic and nostalgic poetry, love and lyrical verse, or satirical and social critique. The study adopts a stylistic-analytical methodology combining description, interpretation, and evaluation, drawing on selected texts as primary examples. It concludes that Al-Jawahiri represents a unique stylistic phenomenon in modern Arabic poetry, one that drew upon the classical rhetorical heritage and redeployed it within a contemporary expressive context.

The rhetorical devices in al-Jawahiri's poetry are deeply intertwined with his central themes, particularly those of homeland and exile, love, and political and social critique, making the rhetorical form an integral part of the content, not separate from it. Al-Jawahiri represents a unique link between classical Arabic rhetoric and modern poetic trends, affirming that originality and innovation can coexist within a single poetic experience without contradiction. There is a clear need for more specialized studies that examine al-Jawahiri's poetry in its entirety using modern stylistic tools, with the aim of revealing the depth of its expressive power and the breadth of its artistic horizons.

الملخص

تتناول هذه الدراسة الملامح البلاغية في نتاج الشاعر محمد مهدي الجواهري (١٩٠٣-١٩٩٧م) ، مع التركيز على كيفية توظيف الأدوات البيانية والبديعية لخدمة المعنى الشعوري والوجداني. تنطلق الدراسة من فرضية مفادها أن الجواهري لم يُوظّف البلاغة أداةً جماليةً فحسب، بل جعلها وسيلةً لنقل رؤيته الفكرية وتجربته الوجدانية، سواء في أشعار الوطن والحنين، أم في شعر الحب والغزل، أم في قصائد الهجاء والنقد الاجتماعي. تهدف الدراسة إلى الكشف عن العلاقة الوثيقة بين البناء اللغوي والتدفق العاطفي، متخذةً من قصيدة "يا دجلة الخير" نموذجاً تطبيقياً. اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي لتفكيك الصور الاستعارية والمحسنات البديعية، وكيفية مساهمتها في تجسيد ثنائيات (الرقة والقسوة، الارتواء والظمأ، الحضور والغياب). وتخلص الدراسة إلى أن الجواهري يُمثّل ظاهرةً أسلوبيةً فريدة في الشعر العربي الحديث، إذ أفاد من التراث البلاغي الكلاسيكي وأعاد توظيفه في سياق تعبيري معاصر. إن البلاغة عنده ليست مجرد زخرف لفظي، بل هي أداة جوهرية لبناء الرؤية الفلسفية للوطن والانتماء. تحمل في طياتها تأملات عميقة حول الهوية و التجارب الإنسانية ما جعل قصائده ذات طابع فني رفيع وأثر وجداني عميق.

تنسجم الظواهر البلاغية في شعر الجواهري انسجامًا عميقًا مع موضوعاته المركزية، ولا سيما قضايا الوطن والمنفى، والحب، والنقد السياسي والاجتماعي، بما يجعل الشكل البلاغي مندمجًا مع المضمون لا منفصلًا عنه.يمثّل الجواهري حلقة وصل متميزة بين البلاغة العربية الكلاسيكية واتجاهات الشعر الحديث، مؤكّدًا أن الأصالة والتجديد يمكن أن يتكاملا داخل تجربة شعرية واحدة دون تعارض.تبرز الحاجة إلى دراسات أكثر تخصصًا تتناول شعر الجواهري برمته باستخدام أدوات الأسلوبية الحديثة، بهدف الكشف عن عمق طاقته التعبيرية واتساع أفقه الفني.

المقدمة

يُعدُّ محمد مهدي الجواهري أحد أعمدة الشعر العربي الحديث، وصوتاً شعرياً اتسم بالجزالة والقوة والقدرة الفائقة على تطويع اللغة لخدمة التجربة الشعورية إذ جمع في شعره بين الفصاحة الكلاسيكية والحساسية الوجدانية المعاصرة، ليُشكّل بذلك نموذجاً استثنائياً في تاريخ الشعر العربي. وقد استأثرت بلاغته الشعرية باهتمام النقاد والباحثين على مرّ العقود، نظراً لما تتسم به من تنوع أسلوبي وعمق دلالي وقدرة فائقة على الإيحاء والتصوير.

ولم تكن براعة الجواهري تكمن في جودة السبك فحسب، بل في قدرته الفريدة على توظيف الطاقات البلاغية لتحويل المعاني المجردة إلى صور حية تلامس الوجدان. وتأتي هذه لتسلط الضوء على بلاغة التعبير في شعره، والكشف عن وظائفها الجمالية وعلاقتها بالبنية الموضوعية لقصائده. متجاوزةً النظرة السطحية للمحسنات اللفظية، لتغوص في جوهر الصورة الشعرية بوصفها وعاءً للفكر والعاطفة. وسنركز في هذا البحث على قصيدة "يا دجلة الخير" (وتسمى أيضاً دجلة)، باعتبارها نصاً مكثفاً تتجلى فيه قدرة الشاعر على استخدام الاستعارة والتشخيص والتضاد لترجمة صراع الاغتراب والحنين. كتبها الجواهري في منتصف القرن العشرين، وهي تجمع بين تقاليد القصيدة العربية الكلاسيكية وحرية الشعر الحر الحديث. على الرغم من أن القصيدة معروفة بطولها واتساع خيالها، إلا أن قوتها الحقيقية تكمن في ثراءها البلاغي: استعارات متداخلة، وتناص مع التراث، وإيقاع موسيقي، وصور حية تستحضرها القافية والإيقاع الداخلي.

عنوان القصيدة هو نداء متكرر يصبح إطاراً بنيوياً ولحناً عاطفياً في آن واحد. القصيدة طويلة جداً (أكثر من مئتي بيت) وتتبع شكلاً غير منتظم، شبه حر، يتنقل بين مقاطع قصيرة ومقطوعات مطولة، مع تكرار ثابت للنداء "يا دجلة الخير". هذا التكرار ليس زينة إيقاعية فحسب، بل هو جهاز بلاغي يعمق العلاقة بين الشاعر والنهر، ويتيح للشاعر أن يستكشف النهر ككيان متعدد الأبعاد: أم، حبيب، نبية، سجان، مُلهم، وتوأم وجودي.

ومن خلال هذا التحليل، نسعى للإجابة على تساؤل جوهري: كيف استطاع الجواهري تحويل الأدوات البلاغية من مجرد قوالب لغوية إلى أدوات لبناء عالم شعري متكامل يجمع بين فخامة اللفظ وعمق المعنى؟

وتتوزع الدراسة على محاور عدة، تشمل: التعريف بالجواهري وسياقه الشعري، وتحليل المجاز والاستعارة، والتشبيه والكناية، والظواهر البديعية.

مشكلة الدراسة

تكمن مشكلة الدراسة في رصد الفجوة بين الوظيفة التقليدية للبلاغة (كأداة للزخرفة اللفظية) وبين الوظيفة الإبداعية للبلاغة عند الجواهري (كأداة لبناء المعنى). فرغم كثرة الدراسات التي تناولت شعر الجواهري من الناحية التاريخية أو السياسية، إلا أن هناك حاجة ماسة لدراسة كيفية عمل 'الآلية البلاغية' داخل النص الشعري لتحويل المشاعر المجردة (كالحنين والغربة) إلى صور ذهنية وملموسة. ومن هنا تسعى الدراسة لمعالجة السؤال: كيف تخدم الأدوات البلاغية الغرض الشعري في قصيدة (يا دجلة الخير)؟

أهداف الدراسة

تهدف الدراسة أن تحقق في نهاية هذا البحث:

١. استجلاء الدور الوظيفي للصور البيانية (الاستعارة والتشبيه) في تجسيد العلاقة بين الشاعر والوطن.

٢. تحليل أثر المحسنات البديعية (التضاد والمقابلة) في إبراز الصراع الوجداني في النص.

٣. الكشف عن العلاقة التفاعلية بين البناء اللغوي (البلاغة) والتدفق العاطفي لدى الجواهري.

٤. تقديم نموذج تحليلي يربط بين النظرية البلاغية والتطبيق الشعري في شعر الجواهري.

تساؤلات الدراسة

الأسئلة التي ستجيب عنها الدراسة:

١. كيف وظّف الجواهري أساليب "التشخيص" لتحويل الطبيعة (دجلة) إلى كائن شريك في المعاناة؟

٢. إلى أي مدى ساهمت "المفارقة والبديع" في تعميق إحساس الشاعر بالظمأ الروحي والاغتراب؟

٣. هل تجاوزت البلاغة عند الجواهري حدود الزينة اللفظية لتصبح جزءاً من البنية الدلالية للنص؟

أهمية الدراسة وأهدافها

تستمد هذه الدراسة أهميتها من موقع الجواهري المحوري في المشهد الشعري العربي، وكونه شاعراً عاش في مرحلة تحوّل حضاري وسياسي متسارع أثّر في تشكيل وعيه وأثرى تجربته الفنية. ويُضاف إلى ذلك ندرة الدراسات البلاغية التحليلية المتكاملة التي تتناول شعره بمنهج

أسلوبي نقدي دقيق، مما يجعل هذا البحث إسهاماً أكاديمياً في حقل الدراسات البلاغية التطبيقية.

تسعى الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

أولاً: رصد الظواهر البلاغية الأكثر حضوراً في شعر الجواهري وتصنيفها.

ثانياً: الكشف عن الوظائف الجمالية والدلالية لهذه الظواهر في سياق القصيدة.

ثالثاً: تقديم قراءة نقدية في تميّز الجواهري ومكانته في الشعر العربي الحديث.

الدراسات السابقة

حاول عدد من الباحثين معالجة شعر الجواهري بالنقد والتحليل ، من ابرز هذه الدراسات ما يأتي:

١. معروف، يحيى، & اعتمادى. (٢٠٠٩). محمد مهدى الجواهرى و اغراضه الشعريه. نثر پژوهى ادب فارسى، ٢٢(١)، ٢٤٩-٢٧٢.

تبحث الدراسة في أغراض الجواهري الشعرية، مبرزةً تنوّع تجربته بين المدح الإصلاحي، والرثاء السياسي، والوصف الطبيعي، والشعر السياسي، والغزل، مما يعكس ثراء تجربته الشعرية وعمق رؤيته الإنسانية. وتؤكد أن الجواهري شاعر ثوري، نقدي، وجداني، وأن شعره يعكس تجربة إنسانية وسياسية غنية.

٢. آباد، مرضيه، & مهديان طرقبه. (٢٠١٠). الموسيقى في شعر محمد مهدي الجواهري السياسي. بحوث في اللغة العربية، ٢(٣)، ٧-١٩.

تدرس هذه المقالة التطور الموسيقي في شعر الجواهري، وتعتبره حلقة وصل بين الشعر الكلاسيكي والحديث. فقد ركزت على التطور الموسيقي في شعر الجواهري السياسي، موضحةً انتقاله من الالتزام الكلاسيكي إلى التجديد الإيقاعي، ودوره في تمهيد الطريق نحو تحديث موسيقى القصيدة العربية. ظهرت الدراسة أن الجواهري لم يكن مجرد شاعر سياسي، بل مجدداً موسيقياً ساهم في تطوير الإيقاع الشعري، مما جعله جسراً بين القديم والحديث.

٣. رسول بازيار، على صيادانى، & حميد صباحى. (٢٠١٤). التناص القرآني في أشعار محمد مهدي الجواهري. Anbar University Journal of Languages and Literature, 6(2), 134-143.

تناولت الدراسة ظاهرة التناص القرآني في شعر محمد مهدي الجواهري، مبيّنةً أن الشاعر وظّف النص القرآني بشكل مباشر وغير مباشر، لتعزيز خطابه السياسي والاجتماعي.

وأوضحت الدراسة أن الجواهري استثمر المرجعية القرآنية لإضفاء قوة دلالية وروحية على شعره، ولتأكيد موقفه الثوري ضد الاستبداد، مما جعل التناص القرآني أحد أبرز ملامح شعره السياسي.

الإطار النظري

البلاغة في المفهوم والمنهج

البلاغة في تعريفها الكلاسيكي هي: مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته. وتنقسم علوم البلاغة العربية التقليدية إلى ثلاثة فروع رئيسة: علم المعاني الذي يبحث في أحوال اللفظ العربي التي يُطابق بها مقتضى الحال، وعلم البيان الذي يدرس طرق التعبير عن المعنى الواحد بأساليب مختلفة كالتشبيه والمجاز والاستعارة والكناية، وعلم البديع الذي يُعنى بالمحسّنات اللفظية كالجناس والطباق والسجع، والمعنوية كالمقابلة والتورية وحسن التعليل.(لقدر فتيحة،٢٠٢٢)يتضح من الدراسات الحديثة أن البلاغة تُقدَّم كنظرية في النص، تهتم ببنيته، ووظائفه، وطرائق اشتغاله، وتُعدّ معرفة إجرائية تساعد على تحليل الخطاب في سياقاته المختلفة. وهي الدراسة النظرية والتطبيق العملي لكيفية استخدام اللغة لإقناع الجمهور أو التأثير عليه أو إبلاغه. كما عرفها أبو الهلال العسكري (ت ٣٩٥هـ): "البلاغة من قولهم بلغت الغاية إذا انتهيت إليها وبلغتها غيري ومبلغ الشيء منتهاه والبلاغة في الشيء الانتهاء إلى غايته فسميت البلاغة بلاغة لأنّها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه" (العسكري،١٩٨٩ ،ص١٥) يتضح من الدراسات الحديثة أن البلاغة تُقدَّم كنظرية في النص، تهتم ببنيته، ووظائفه، وطرائق اشتغاله، وتُعدّ معرفة إجرائية تساعد على تحليل الخطاب في سياقاته المختلفة.

والواقع أن البلاغة العربية قد مّرت بتاريخ طويل من التطّور حتى انتهت إلى ما انتهت إليه وكانت مباحث علومها مختلطة بعضها ببعض منذ نشأة الكلام عنها في كتب السابقين الأولين من علماء العربية، وكانوا يطلقون عليها البيان. (عتيق،١٩٨٥ ص٧). فهي تتجاوز الوظيفة العادية للغة من خلال توظيف الاستعارة، والتشبيه، والجناس، والتكرار، والإيقاع، والوزن العروضي، والصور الحية، ما يجعل الرسالة عاطفية وفكرية في آن واحد. "فدارس البلاغة في حاجة الى أن ينظر في التعبيرات الجيدة، والأساليب الراقية، ويتأمل هذه التعبيرات وتلك الأساليب ويصل بل ويدرك مواطن الجمال بها فينمو بذلك ذوقه وترقى أحاسيسه وتسمو مشاعره." عبدالفتاح،١٩٩١، ص٤) لذلك هذا المفهوم لم يعد مقتصراً على المحسنات أو الزينة اللفظية، بل أصبح إطاراً معرفياً لفهم النصوص ووظائفها وطرائق تأثيرها.

وفي دراسة شعر الجواهري، تتجلى هذه الفروع الثلاثة بوضوح تام، إذ لا يقتصر الجواهري على فرع بعينه، بل يُطوّع أدوات البلاغة جميعها في خدمة رؤيته الشعرية وبنائه الفني. يكشف لنا ديوان الجواهري الاول عن اعتماده على مخزون ثقافي تجمع من قراءاته الشعر القديم واطلاعه الواسع على كتب اللغة والنحو والبلاغة وما حفظه من شعراء عصره المشهورين. كشوقي. وحافظ. والزهاوي .والرصافي. (علوان، ص٢٥٩) وقد أشار الناقد محمد النويهي إلى أن شعر الجواهري يمثّل نقطة التقاء فريدة بين الموروث الكلاسيكي والحساسية الوجدانية الحديثة، مما جعل بلاغته ذات طابع خاص لا يشبه غيره.

الجواهري
حياته ومكانته الأدبية

السيرة والنشأة

وُلد الشاعر محمد مهدي الجواهري في النجف أواخر القرن التاسع عشر، إذ تشير بعض الروايات إلى عام ١٨٩٩م، في حين تذهب أخرى إلى عام ١٩٠٣م. نشأ في بيئة دينية وعلمية راسخة ضمن أسرة عُرفت بالعلم والفقه، وكان لذلك أثرٌ واضح في تكوينه المبكر. تلقّى تعليمه الأول على يد والده وعدد من علماء النجف، فحفظ القرآن الكريم واستوعب قدرًا كبيرًا من الشعر العربي القديم في سن مبكرة، مما أسهم في صقل ملكته اللغوية وإثراء رصيده البلاغي.

في مرحلة شبابه، تبلورت موهبته الشعرية بصورة لافتة، فاتجه نحو الأدب والصحافة، وانتقل إلى بغداد حيث انخرط في العمل الصحفي والتدريس، مؤديًا دورًا بارزًا في الحياة الثقافية والسياسية في العراق لسنوات طويلة. وعلى الرغم من توجهه المبكر نحو العمل الديني، إلا أنه سرعان ما انصرف عنه لصالح النشاط الأدبي والفكري، فأصدر عددًا من الصحف، من أبرزها جريدة "الرأي العام"، كما تولّى مناصب سياسية، منها عضوية مجلس النواب العراقي، وعُرف بمواقفه الوطنية المناهضة للسلطات في مراحل مختلفة. "الجواهري يداوم في طريقة مستقلا أو شبه مستقل، ولا يتأثر بهذه الإنجازات على الظاهر، ولم يزل ينتج نماذج من الأدب القديم اللامع" (السامرائي، ١٩٨٠م، ص١٢٥) لاشك أن الجواهري أخلاقه و شخصيته متأثرا أشد التأثر بأسرته و مذهبه الشيعي و لذلك يعّد القرآن مصدرا ثريا من مصادر الإلهام الشعري الذي يضيء إليه الشاعر و يستلهمه و يقتبس منه. يقول الجواهري إن الظاهرتين الدينية و الأدبية كانتا تتلاقيان و تصب كل منهما في مجري الأخرى و ذلك بحكم فصاحة القرآن الكريم و بلاغته الدينية. (شعبان،١٩٩٧: ٢٣)

مكانته في الشعر العربي

تُعدّ مكانة محمد مهدي الجواهري في الشعر العربي الحديث رفيعةً ومتميزة، إذ يُنظر إليه بوصفه أحد أعمدة الشعر العربي في القرن العشرين، وامتدادًا حيًّا لتيار القصيدة العربية الكلاسيكية في أرقى تجلياتها. "قيل عنه الكثير بدءاً من نابغة الشعر العربي، ومرورا بشاعر العرب الأكبر، وأمير الشعراء بعد شوقي، ووارث الشعر العربي وحافظه، ومتنبي العصر ورب الشعر، وانتهاء بألقاب وأوسمة أدبية قلّما حصلت وتحصل لشاعر عربي" (معروف، ٢٠٠٦) فقد استطاع أن يزاوج بين أصالة التراث ومتطلبات العصر، مما أكسبه حضورًا لافتًا بين شعراء جيله.

تجلّت أهمية تجربته الشعرية في محافظته على البناء العمودي التقليدي للقصيدة، مع تأثر واضح بنماذج رفيعة من التراث، ولا سيما شعر المتنبي، من حيث قوة التعبير وجزالة الأسلوب وعمق الدلالة. غير أن تميّزه لم يقف عند حدود المحاكاة، بل تجاوزه إلى توظيف هذا الشكل الفني للتعبير عن قضايا معاصرة، مثل الحرية والعدالة الاجتماعية والهوية الوطنية، وهو ما منح شعره أبعادًا إنسانية وسياسية واضحة(Raeisi, L.,etal.,2023) .

ونال الجواهري لقب "شاعر العرب الأكبر"، وهو توصيف يعكس مدى تأثيره في الأوساط الأدبية والنقدية، حيث عُدّ حلقة وصل بين التراث الشعري القديم واتجاهات الشعر الحديث. وتميّزت تجربته بصدق العاطفة وقوة الانفعال، فضلًا عن قدرته على التعبير عن هموم الفرد والمجتمع في آنٍ واحد، مما جعل قصائده حاضرة بقوة في الوجدان العربي. "فقد كان صوتا يطالب بالاستماع إليه كل من قدم الى العراق مما اضطر رجال السلطة الى دعوته، كما اسهمت الصحف التي أصدرها في اتساع شهرته. "(الموسوي، ١٩٨٨: ١٥٩)

"فارتشف مناهل العلم واللغة والفلسفة، فدرس الأجرومية وقطر الندى وألفية ابن مالك ومغني اللبيب وشرح النظام في الصرف والحاشية للملا عبد الله وشروح الشمسية في المنطق والمطول والمختصر في البلاغة وشرح اللمعة ومكاسب الشيخ الأنصاري." (الجبوري،١٩٩٣: ١٠)

(فلقد كان له حضور في أرقى وأشهر المؤتمرات الدولية، والتقى في حياته بأعلام مشهورة لهم الأثر الخالد على الإبداع البشري بشكل عام. فقد حضر عام ١٩٤٨م أول مؤتمر للسلام العالمي في بولندا. (الراضي، ١٩٩٨) قصيدة "يا دجلة الخير" هي واحدة من أشهر قصائد الجواهري، الذي جمع فيها بين التراث الكلاسيكي العراقي والحداثة والتجربة الشخصية. التقسيم الكلاسيكي للقصيدة (خمسة مقاطع متفاوتة الطول) يعكس إيقاع نهر دجلة نفسه: هادئ وبطيء

في البداية، ثم يتسارع، ويصل إلى ذروته في المنتصف، ثم يهدأ نحو التأمل قبل أن يعود إلى النغمة الرقيقة الختامية. تعد القصيدة قمة التعبير الوطني والعاطفي معًا. تتسم هذه القصيدة بالغنى اللغوي والرمزي، حيث يجمع الجواهري بين الإطراب الشعوري والتأمل في تاريخ وحضارة العراق، مع الانفعال العاطفي العميق بالجغرافيا والمصير الوطني. في الجدول (١) البنية العامة للقصيدة:

بلاغة البيان في قصيدة (يا دجلة الخير)

استراتيجية التشخيص

تعد الصورة البيانية عند الجواهري ركيزة أساسية في بناء النص، حيث لا يكتفي باستحضار الطبيعة كخلفية للمشهد، بل يجعل منها عنصراً فاعلاً. ويبرز "التشخيص" كأهم الأدوات التي استطاع من خلالها تحويل "دجلة" من مجرى مائي إلى كيان إنساني واحد، يشاركه الشاعر آلامه وأشواقه. يتجلى التشخيص في قمة تجليه في الاستهلال الشعري للقصيدة، حيث يقول الجواهري:

حَيّيتُ سَفحَكِ عَن بُعْدٍ فَحَيِّينِي ... يا دِجلةَ الخَيرِ، يا أُمَّ البَساتينِ

عند تحليل هذا البيت بلاغياً، نجد أن الشاعر قد استعمل "النداء" المقترن بلفظ "يا أم البساتين". هنا، لم يعد النهر مجرد مورد للماء، بل تحول عبر استعارة مكنية (تشخيص) إلى "أم". إن اختيار صفة "الأمومة" تحديداً يحمل دلالات بلاغية عميقة؛ فالأم هي مصدر الحياة، والاحتواء، والأمان، والعطاء غير المشروط. إن هذا التشخيص يخدم الغرض الشعري من خلال:

١. **أنسنة المكان:** تحويل دجلة من "جماد" إلى "مخاطب"، مما يكسر حاجز الغربة ويخلق حواراً وجدانياً بين الشاعر ووطنه.

٢. **تجسيد الاحتياج الوجودي:** عندما ينادي الشاعر "الأم"، فإنه يعبر عن حالة من اليتم الروحي التي يعيشها في المنفى، مما يجعل من دجلة الملاذ الوحيد الذي يمكنه احتواء شتاته.

ويمتد هذا التشخيص ليتخذ منحى "الاستجابة" في قوله: "فحيّيني"، حيث افترض الشاعر أن النهر يمتلك القدرة على الرد والتحية، وهذا النوع من "التفاعل الوجداني" هو ما يمنح القصيدة حركتها الدرامية، ويحولها من مجرد "وصف للطبيعة" إلى "ملحمة حنين". الاستنتاج الجزئي للمبحث: نخلص مما سبق إلى أن التشخيص عند الجواهري ليس مجرد زينة بلاغية، بل هو استراتيجية لغوية تهدف إلى ردم الفجوة بين الذات (الشاعر) والموضوع (الوطن)، مما يجعل العلاقة بينهما علاقة عضوية لا تنفصم.

يتم التعامل مع دجلة ككيان واعٍ ذو المشاعر الإنسانية والقدرة على الفعل:

– "أسمع الدهر، والدنيا، وساكنها / قرع النواقيس في عيد الشعانين".

– "تهزني فأجاريها فتدفعني / كالريح تعجل في دفع الطواحين".

التشخيص هنا ليس مجرد زينة بل هو آلية إدراكية من خلال نسب المشاعر الإنسانية إلى النهر، يدعو الشاعر القارئ إلى رؤية الطبيعة كشريك في المعاناة والفرح.

الصورة التشبيهية

يعمد محمد مهدي الجواهري إلى توظيف التشبيه بمختلف أنماطه: المفصّل، والمجمل، والبليغ، والضمني، بما يمنح المعاني الذهنية والوجدانية تجسيدًا حسيًا واضحًا، ويحوّل الانفعالات الداخلية إلى صور مرئية ذات أثر جمالي قوي. وغالبًا ما يستمد عناصر تشبيهاته من بيئته الطبيعية والاجتماعية، الأمر الذي يضفي على شعره طابعًا محليًا أصيلًا، دون أن يفقد بعده الإنساني العام.

ومن النماذج اللافتة في شعره تشبيهاته البليغة التي يصوّر فيها الحزن والكمد في هيئة نهرٍ ساكن، أو يُجسّد الوطن المفقود كضوءٍ خافتٍ يتلاشى في الأفق. وتعكس هذه الصور حالة الاغتراب العاطفي، إذ تمزج بين دقة التعبير وعمق الإحساس، لتقدّم تجربة شعورية مشحونة بالحنين والأسى (محمد السيد حسن، ٢٠٢٣).

الجواهري لا يستخدم التشبيه لتقريب الصورة فقط، بل لتعميق العلاقة الوجدانية بين الشاعر ووطنه.

"يا دجلةَ الخيرِ، يا أُمَّ البساتينِ"

"يا أم البساتين" هذه الصورة استعارة مكنية (تشخيص/Personification). فقد حوّل الشاعر نهر دجلة من مجرى مائي جاف إلى "أُم" (كيان حي، معطاء، واحتوائي). فهذا التشخيص ينقل العلاقة من "علاقة شاعر بنهر" إلى "علاقة ابن بأمه". هذا يعمق معنى "الحنين الفطري"؛ فالحنين هنا ليس حنيناً لمكان، بل هو حنين للأصل والجذور والاحتواء الذي لا يجده الشاعر في غربته.

"ألوذ به / كلوذ الحمائم"

عند تحليل جمالية هذه الصورة نجد تشبيه تمثيلي؛ "لجوء الشاعر لدجلة" بـ "لجوء الحمائم للماء". فالشاعر صور حالة الظمأ الروحي والاحتياج للموطن بحالة الحمامة التي لا تجد أماناً إلا في الماء. وما به من أثر دلالي لتعميق معنى "الاضطرار والاحتياج الوجودي". الشاعر لا يزور دجلة ترفاً، بل يلجأ إليها كحاجة غريزية للبقاء، مما يرفع من قيمة دجلة من "مكان" إلى "ملاذ آمن".

الصور البلاغية المفرطة والتشبيه تبلغ الصور الشعرية حداً من الكثافة بحيث تتحول إلى استعارة مبالغ فيها:

– "يا خمر خابيةٍ في ظل عرجون" (النهر كخمر مخمر في جذع نخيل)

"يا خنجر الغدر، يا أغصان زيتون"

النهر كأداة قاتلة ورمز للسلام في آن واحد. هذا المبالغة المتعمدة هي سمة من سمات الأسلوب البلاغي لدى الجواهري فها نحن أمام جرأة في الجمع بين المتناقضات لخلق واقع شعري جديد.

المجاز: أنواعه ووظائفه

يحتلّ المجاز مكانةً بيانيةً بارزة في البناء الشعري لدى محمد مهدي الجواهري، إذ يوظّفه بصورتيه الأساسيتين: المجاز اللغوي والمجاز المرسل، توظيفًا يكشف عن وعي بلاغي متقدّم وحسّ تعبيري دقيق. ولا يقتصر حضوره على الزخرفة الأسلوبية، بل يتجاوز ذلك ليؤدي دورًا دلاليًا فاعلًا في تكثيف المعنى وتوسيع آفاقه، من خلال الإيحاء بما يتجاوز حدود التعبير المباشر، مما يمنح النص أبعادًا تأويلية متعدّدة. (لعرجوم بلخير، وعلو عبد الحميد، ٢٠٢٢).

ويتجلّى هذا التوظيف بوضوح إذ يقول:

"النهر يغني أنشودة من لؤلؤ"

في هذا البيت، الوسيط المجازي؛ يتم وصف النهر بأنه "يغني" – وهي صفة بشرية تُنسب إلى كيان مائي، مما يخلق صورة حية لتدفقه كموسيقى. "أنشودة من لؤلؤ" تعمل كوسيط يوضح طبيعة "غناء" النهر، مما يضفي على الماء جودة بصرية وسمعية (اللؤلؤ يلمع، الأنشودة تُسمع). المعنى الحرفي (النهر لا يغني) يُستبدل بالمعنى المجازي (النهر ينساب بنعومة وإيقاع يذكّر بالغناء)، وهو ما يميز المجاز المرسل حيث يُستخدم وسيط ملموس للتعبير عن فكرة مجردة.

الاستعارة: جمالياتها وأبعادها الدلالية

تتبوّأ الاستعارة موقعًا متقدّمًا في البناء البياني لشعر محمد مهدي الجواهري، إذ ينوّع في توظيفها بين الاستعارة التصريحية والمكنية، بما يضفي على نصّه حيويةً تصويرية ودقّةً تعبيرية لافتة. ولا تأتي الاستعارة عنده بوصفها عنصرًا تزيينيًا، بل تؤدي وظيفة دلالية عميقة تُسهم في تجسيد التجربة الشعورية والفكرية.

"النهر مرآةٌ تُريك وجه السماء" الجواهري، ديوان الجواهرى، المجلد ٣، ص ١٢٦

يتم وصف النهر بأنه "مرآة" – وهي أداة تعكس الصور – مما يعني أن النهر يعكس السماء حرفيًا. من خلال ربط النهر بمرآة، ينقل الجواهري صفة بصرية ملموسة (الانعكاس) إلى عنصر

مائي مجرد، مما يخلق صورة حية للنهر كسطح هادئ ينسخ السماء. تعزز الاستعارة فكرة أن دجلة هي وسيط بين الأرض والسماء، وهي رمز للوحدة بين العالمين المادي والروحي، وتثري الرمزية المائية في القصيدة. هذا المثال يوضح كيف يستخدم الجواهري الاستعارة ليس فقط لوصف النهر، بل لرفعه إلى مستوى رمزي يربط بين العناصر الطبيعية ويعكس الرؤية الشعرية المتكاملة للشاعر.

بلاغة البديع والمعاني في القصيدة

١. ثنائية التضاد ودلالاتها الوجودية

لا تقتصر البلاغة عند الجواهري على تصوير الأشياء، بل تمتد إلى "تصوير الصراع". ويُعد التضاد (أو الطباق) الأداة المركزية التي استخدمها الشاعر ليعبر عن حالة التمزق التي يعيشها بين "الوطن المفقود" و"المنفى القاسي". "فهذا النوع من البديع يسبب الروعة والجمال في القصيدة بقدر ما يعزز موسيقى الشعر" (جبران، ٢٠٠٣م، ص١٧٠) يُكثر الجواهري من الطباق في نصوصه الشعرية، إذ يُقابل بين الأضداد ليُبرز التوترات الوجودية التي يعيشها: الحضور والغياب، الوطن والمنفى، الأمل والخيبة، الحياة والفناء. ويُمثّل هذا التقابل الصرفي انعكاساً لرؤية الشاعر إلى العالم باعتباره ميداناً للتضادّ الدائم.

الجواهري يستخدم "المقابلة" و"التضاد" ليُظهر الصراع الداخلي.

حييتُ سفحَك ظمآناً ألوذُ به/ لوذَ الحمائمِ بين الماءِ والطين

هذه الصورة "الماء والطين" تجمع بين عنصر السيولة (الماء) وعنصر الصلابة/التكوين (الطين). فالشاعر يعمق معنى "الارتباط العضوي بالأرض". الماء يمثل الحياة، والطين يمثل الأرض والجسم. الجمع بينهما يشير إلى أن دجلة ليست مجرد ماء، بل هي "جوهر التكوين" الذي انحدر منه الإنسان (من طين)، مما يربط الشاعر ببيئته برباط مادي وروحي في آن واحد.

"إني وردتُ عيونَ الماءِ صافيةً/ نبعاً فنبعاً فما كانت لترويني"

صورة صفاء الماء مقابل عدم الارتواء. هي مفارقة (Paradox) أو تضاد معنوي. من الناحية المنطقية، الماء الصافي يروي، لكن الشاعر يقول "ما كانت لترويني". هذا التناقض هو ذروة البلاغة في النص؛ فهو يعمق معنى الظمأ الروحي الذي لا يطفئه إلا الحضور الفعلي. رغم صفاء الطبيعة، لا يجد الشاعر فيها ما يجده في دجلة؛ فالعلاقة معه وجدانية لا مادية. يقول الشاعر: مهما شربتُ من ماء دجلة في الغربة، سيظل عطشي قائماً لأن الارتواء ليس بالماء، بل باللقاء. هنا تصبح البلاغة أداة للتعبير عن "استحالة التعويض".

تعتمد قصيدة (يا دجلة الخير) على شبكة من المتناقضات التي تخلق توتراً درامياً في النص. نجد الشاعر يستخدم التضاد بين (الارتواء والظمأ) وبين (الوجود والعدم).

حييتُ سفحَك ظمآناً ألوذُ به

نَبْعاً فنبعاً فما كانت لتَرْويني

فعندما يتحدث عن دجلة، فإنه يربط بين فيض الماء وبين جفاف الروح في المنفى. إن التضاد هنا ليس مجرد مقابلة بين كلمتين، بل هو "تضاد دلالي"؛ فالمسافة بين "دجلة" (رمز الامتلاء والحياة) وبين "الشاعر في الغربة" (رمز الخواء والضياع) هي المسافة التي يصنعها الطباق. كما يظهر التضاد في استحضار صور (الماضي المجيد) مقابل (الحاضر المنكسر). هذا التضاد يخدم الغرض من القصيدة، حيث يجعل القارئ يشعر بأن الفقد ليس مجرد غياب مكاني، بل هو تصادم بين حالتين: حالة "الامتلاء بالوطن" وحالة "الفراغ من كل شيء" بدونه. وبذلك، يصبح الطباق وسيلة لتجسيد "المأساة" لا مجرد وسيلة لجمال اللفظ.

"أنتِ في النهارِ نورٌ، وفي الليلِ ظلامٌ"

فالتقابل الثنائي، يضع السطر بين قوسين متضادين؛ النور (الضوء، الوضوح، الحياة) مقابل الظلام (الظلمة، الغموض، السكون). والتناقض الدلالي، النهار والليل هما زمانان متعاكسان؛ ربط النهر بهما يخلق تناقضًا واضحًا يعزز ثنائية النهر كرمز للحياة والموت، الحضور والغياب.

يستخدم الجواهري التضاد البلاغي ليكشف عن ثنائيات الوجود الحياة/الموت والخير/الشر:

– "ما إن تزال سياط البغي ناقعةً / في مائك الطهور بين الحين والحين".

وفجأة يصف دجلة الحب، دجلة الخير بوصف جديد فيه خشونة فيه شكوى سببتها الغربة والبعد:

– يا سكتةَ الموتِ، يا إعصارَ زوبعةٍ

يا خنجرَ الغدرِ، يا أغصانَ زيتون

وها هو يصل الى اعلى صوره الوصفية في "يا دجلة الخير" وهو بعيد عنها ينقش في قلبه الخفاق صورة مائها وشواطئها، وسفوحها، فيناديها، ويشكو إليها شوقه، ويواعدها باللقاء. (الموسوي ١٩٨٦ص٤٢٨)

هذه المقابلات تعزز الوحدة الجدلية للقصيدة فالنهر هو في آن واحد مصدر الحياة وميدان الصراع.

٢.الأساليب الإنشائية

إذا كانت الصور البيانية قد رسمت "المشهد"، فإن الأساليب الإنشائية (النداء، الأمر، الاستفهام) هي التي منحت المشهد "الحركة" و"الحرارة العاطفية". التحليل التطبيقي: يبرز "أسلوب النداء" كعنصر محوري في القصيدة، حيث يفتتح الشاعر نصه بـ:

"يا دجلةَ الخيرِ...

إن النداء هنا ليس لغرض التنبيه فقط، بل هو "نداء استغاثة وجداني". من الناحية البلاغية، يحمل النداء دلالة "القرب والبعد" في آن واحد؛ فالشاعر يناديها كأنها قريبة منه (روحياً)، لكنه يناديها بصوت مسموع لأنه يشعر ببعدها (مكانياً). كذلك، نجد استخدام "أسلوب الأمر" (الذي خرج من معناه الحقيقي إلى غرض التمني أو الرجاء) في قوله: "فحيِّيني". إن هذا الأمر لا يحمل صيغة التسلط، بل يحمل صيغة "الاستعطاف".

يستخدم الجواهري النداء لكسر المسافة بينه وبين المبتغى. والنداء هنا ليس لطلب الإجابة، بل هو "نداء استغاثة ووداع". تكرار النداء يعمق معنى "التودد والاستعطاف"، ويحول النهر إلى "مخاطب وجداني" يسمع أنين الشاعر، مما يمنح النص حيوية وحرارة عاطفية.

حَيّيتُ سفحَكِ عن بُعْدٍ فحَيِّني

الشاعر هنا يمارس نوعاً من "التوسل البلاغي" ليعيد لنفسه جزءاً من هويته الضائعة.

كما يلعب "الاستفهام" دوراً في إثارة الحيرة الوجودية، حيث يطرح الشاعر أسئلة لا تنتظر إجابة معرفية، بل تهدف إلى "استفزاز العاطفة" وتسليط الضوء على حالة الحيرة التي يعيشها المغترب.

"من ذا الذي لم يَسْكَرْ بدجلة؟"

صيغة استفهامية عامة، "من ذا الذي" يتجاوز أي فرد معين، ويشير إلى (الجميع) سؤال وجودي عن العلاقة الجماعية بين البشر والنهر. هذا السؤال لا يطلب حقيقة محددة؛ بل يدعو القارئ إلى التأمل في التجربة المشتركة للشرب من دجلة كطقس ثقافي وروحي. "لم يَسْكَرْ" يوحي بأن النهر مصدر للانتشاء والحياة، بينما في الوقت نفسه يلمح إلى أن عدم الشرب منه قد يعني الحرمان أو الغياب. التناقض يثير أسئلة أعمق حول الهوية والانتماء والذاكرة الجماعية. و بطرح سؤال لا إجابة له، يدفع الجواهري القارئ إلى مواجهة شعوره الخاص تجاه النهر، مما يحول السؤال إلى مرآة للحيرة الداخلية بدلاً من طلب معلومات خارجية. هذا السؤال الاستفهامي يجسد كيف

يستخدم الجواهري الاستفهام ليس كوسيلة للحصول على معلومات، بل كأداة لاستكشاف الحيرة الوجودية والارتباط الوجداني العميق بين الإنسان ونهر دجلة.

قكل نداء يعيد تعريف النهر من زاوية جديدة (مثل: "يا أم البساتين"، "يا نبعاً أفارقُهُ"، "يا خمرَ خابيةٍ")، فيحول النهر إلى حاوية مجازية لكل تجربة إنسانية. إن هذه الأساليب الإنشائية هي التي نقلت القصيدة من "النص الساكن" إلى "النص الحي" الذي يتنفس ألما وحنيناً.

يتجلى من خلال دراسة التضاد والأساليب الإنشائية أن الجواهري قد طوّع "علم المعاني" و"علم البديع" ليصنع منهما لغةً تعبيرية تتجاوز الوصف. فالتضاد رسم حدود الصراع، والإنشاء بثّ الروح في هذا الصراع، مما جعل النص وحدة عضوية متكاملة تلتحم فيها البلاغة بالوجدان.

إن هذه القصيدة تُعد "منجماً" بلاغياً. الجواهري ليس مجرد شاعر عاطفي، بل هو "شاعر الفخامة اللغوية"؛ حيث يستخدم البلاغة لا للزينة، بل لبناء صرح من المشاعر المتدفقة. قصيدة "يا دجلة الخير" تُعد من علامات الشعر الوطني والوصف الوطني في الشعر العربي الحديث، وتتميز بالجماليات البلاغية التي تتجلى في الصور الفنية، الرموز، واللغة الموسيقية. في الجدول (٢) تحليل للجوانب البلاغية للجماليات في هذه القصيدة

الجماليات الفلسفية وتجلياتها البلاغية

ثنائية الزوال والخلود

التوتر بين الزوال والخلود يدفع القصيدة نحو التأمل الوجودي. فالزوال: "الأيام تهرب كأنها ظلال". والخلود: "دجلة تبقى، والنهر لا يموت". هذا التأمل الفلسفي في الحياة والموت يتحول دجلة إلى رمز لدورة الحياة:

- **"يا دجلة الخير: قد هانت مطامحنا / حتى لأدنى طماح غير مضمون".**
- **"يا دجلة الخير: إن الشعر هدهده / للسمع ما بين ترخيم وتنوين".**

هنا يصبح الشعر نفسه أداة للتأمل في جدلية الحياة والموت. فالنهر كرمز وجودي يتجاوز النهر كونه مجرد عنصر جغرافي ليصبح مرآة وجودية تعكس الصراع بين الإنسان والقدر

– "أتضمنين مقيلاً لي سواسيةً / بين الحشائش أو بين الرياحين؟"

فهذه هي فلسفة الشاعر تجاه الحياة والموت، فالجواهري يرى نفسه فانياً، لكن يرى في دجلة خلود العراق، وفي الشعر خلود الإنسان. ثنائية الزوال والخلود في القصيدة ليست مجرد فكرة، بل بنية شعرية تتكرر في الصور – الإيقاع – الاستعارات – المقابلات – تشخيص النهر.

وكان جرحكِ إلهامي مشاركةً/ وكان يأخذ من جرحي ويعطيني"

فالجرح ألم زائل والإلهام إبداع خالد. لذلك العلاقة بين الألم والإبداع تجسّد ثنائية الفناء/الخلود. إن "الشعور المتولد عند الجواهري الرافض للمبادئ والأفكار السائدة في مجتمعه آنذاك نابع من أمرين: الأول هو عدم تفاعله مع الواقع، والثاني الاضطراب الحاد الذي كان يعانيه في عالمه الداخلي، لذا نجد أن غربته هنا أخذت بعدين نفسي واجتماعي وبهذا يكون اغترابه عن قيم المجتمع عاطفيا وفكريا.(النوري،١٩٧٩ص١٣)

البعد الوطني

يُشكّل الوطن بمختلف تجلياته الحضورَ الأبرزَ في شعر الجواهري، إذ يتحول في قصائده إلى كيان حيّ يُناجَى ويُبكى ويُفتقَد. وتتضافر الأدوات البلاغية في خدمة هذا الموضوع الكبير: فالاستعارة تُحيّي الأرض والنهر والمدينة، والتشبيه يُقارب بين المنفيّ والجريح، والطباق يُجسّد ثنائية الحضور والغياب. تظهر القصيدة بوضوح الوعي الوطني للجواهري الذي عاصر الانقلابات السياسية والاحتلال الأجنبي: – انتقاد "سياط البغي" و"خيول البغي" التي تهدد القرى. والحزن على "بغداد" التي "مشى التبغدد حتى في الدهاقين".

ما إن تزالَ سِياطُ البغي ناقعةً/ في مائِكِ الطُهْرِ بين الحِين والحين

تظهر هذه العواطف القوية في القصيدة، حيث يعبر الشاعر عن حنينه للوطن ومعاناته من الفراق. هذه العبارات تعكس الألم والخيبة. فالأحداث التي عصفت بالعراق وتغللت في وجدان الشاعر ووعيه، هي التي ولدت عنده الرفض، وهي قيمة ثابتة، لكنها ليست قيمة دلالية فحسب، بل هي تشكيلة جمالية تكمن ورائها قيمة فاعلة تتمثل في الفعل الارادي الرافض للواقع.(عبدالرزاق، ٢٠١١)

"أدري بالذي طفحت به مجاريك من فوقٍ إلى دون"

كأن النهر إنسان يفيض بالهموم. – كناية عن تراكم المآسي في الوطن. فالنهر يصبح مرآةً لآلام الشعب، والطبيعة تتحول إلى سجلّ تاريخي.

تهزين من خصب جنات منشّرة على الضفاف، ومن بؤس الملايين"

إن إسناد الحركة للنهر والطباق بين "خصب" و"بؤس" والمقابلة بين "جنات" و"ملايين" (الرفاه مقابل الفقر). الدلالة: النهر يهتزّ بين صورتين متناقضتين: الخصب الطبيعي والبؤس الإنساني.

تشخيص الطبيعة وجعلها كائناً يشعر ويتفاعل، واستعارات وصور حسية تربط الإنسان بالنهر روحياً، وطباق ومقابلات تُظهر التناقض بين جمال الطبيعة وبؤس الواقع. فالطبيعة في القصيدة ليست خلفية، بل شخصية رئيسية تشارك الشاعر همومه وتمنحه الأمل.

العلاقة بين الإنسان والطبيعة

الشاعر لا يعتبر النهر مجرد خلفية، بل شريكًا في التجربة الإنسانية. من خلال العبارات مثل "نحن ضيوف على ضفافك"، يعيد الجواهري تعريف العلاقة بين الإنسان والطبيعة كعلاقة ضيافة متبادلة وليست استغلالًا.

تتضمن القصيدة العديد من الصور الحسية التي تستحضر مشاعر القارئ، مثل "بين الماء والطين" و"أطراف الأفانين". هذه الصور تجعل القارئ يشعر بجمال الطبيعة العراقية وتناقضاتها.

تهزين من خصب جنات منشّرة/ على الضفاف، ومن بؤس الملايين"

فهنا الطباق بين "خصب" و"بؤس"، والمقابلة بين "جنات" و"ملايين" (الرفاه مقابل الفقر). تشير إلى أن النهر يهتزّ بين صورتين متناقضتين: الخصب الطبيعي والبؤس الإنساني. فالطبيعة في القصيدة ليست خلفية، بل شخصية رئيسية تشارك الشاعر همومه وتمنحه الأمل.

"**يا دجلة الخير: إن الشعر هدهدة/ للسمع ما بين ترخيمٍ وتنوين**"

تشبيه الشعر بالأم التي تهدأ طفلها، هي كناية عن أثر الشعر في تهدئة النفس. والطبيعة (دجلة) مصدر إلهام للشعر، والشعر بدوره يخفف آلام الإنسان.

"وحمِّليه بحيث الثلج يغمرني / دفءَ الكوانين، أو عطر التشارين"

الطباق بين "الثلج" و"دفء" وتشخيص الفصول كأنها تبث عطراً. كناية عن طلب السلوى. الطبيعة هنا دواءٌ نفسي يطلب منه الشاعر الدفء والعزاء.

الرمزية الشاملة في قصيدة يا دجلة الخير

يتضح مما سبق أن البلاغة عند الجواهري ليست زخرفةً مضافةً إلى الشعر من الخارج، بل هي عنصرٌ بنائيٌّ داخليٌّ ينهض بالنص الشعري من الأعماق. فالاستعارة عنده خلقٌ لحقيقة جديدة لا مجرد تزيين للحقيقة القائمة، والمجاز نقلٌ للمحدود إلى الكوني، والطباق تجسيدٌ للصراع الوجودي لا مجرد توافق صوتي.

دجلة كرمز مركزي تمثل الهوية الوطنية والعراقة التاريخية للعراق، فهي "أم العراق" أي مصدر الحياة والثقافة والحضارة. كما تجسد قوة الطبيعة ومصدر الإلهام للإنسان العراقي، وهي رمز

للوطن الأم بكل ما يحتويه من تضاد وتناقضات. فمن العناصر الطبيعية والخيال الفني في القصيدة، الحمائم والمياه والأشجار والزيتون كلها رموز للسلام، الحب، الحياة والاستقرار. والقارب الرمزي يمثل الإنسان أو الأمة المتحركة عبر الزمن والأحداث، وقد تلتف به الرياح والآمال والتحديات. الرياح والماء يتحركان كنمط استعاري للتغيير والتحولات الاجتماعية والسياسية.

وقد أثّر الجواهري تأثيراً عميقاً في مَن جاء بعده من الشعراء العرب، إذ وجدوا في أسلوبه نموذجاً يُلهمهم القدرة على الجمع بين الأصالة اللغوية والانفتاح على الحساسية الحديثة. و لعل شخصية الجواهري و طبيعته المتمردة الثائرة هي التي ساقته نحو الإبداع الفني و الأدب و الشعر و تفاعل هذه العناصر مع أحداث المجتمع، بحيث يصبح المجتمع هو المبدع و علة الإبداع في الوقت ذاته، وهو ما تصورته النظرية الاجتماعية. (سويف،١٩٦٥ :١٧١) فشعره يُثبت أن القصيدة العمودية الكلاسيكية لا تعني بالضرورة الجمود الأسلوبي، بل يمكن أن تكون وعاءً لأعمق التجارب الإنسانية وأكثرها تجدداً وحيويةً.

قصيدة "يا دجلة الخير" تمثل نموذجًا متكاملًا من الشعر الذي يجمع بين الحب الوطني، الغزل الطبيعي، التأمل الفلسفي، والحضارة التاريخية. البنية المعمارية متشابكة بين الوصف، المخاطبة، والوحدة الموضوعية، بينما الرمزية تجعل من دجلة رمزًا حيًا للهوية العراقية والخلود الثقافي. تُعد هذه القصيدة تجسيدًا لمراوحة الجواهري بين الفخر الوطني والحب العاطفي للأرض، وتُظهر اهتمامه بالقيم الإنسانية والوطنية. كما أنها مثال على الشعر الذي يخلط بين الرومانسية والوطنية ويعكس الانتماء العميق إلى تاريخ وحضارة العراق. قراءة هذه القصيدة تُعطي المتلقي إحساسًا بالارتباط العاطفي مع النهر والتراث العراقي، وتوضح براعة الجواهري في المزج بين العاطفة والفكر الوطني.

الخاتمة والاستنتاجات

في ختام هذه الدراسة، يمكن القول إن البحث قد كشف عن الوجه الإبداعي للبلاغة في شعر الجواهري، حيث تبين أن استخدام الأدوات البيانية لم يكن غاية في ذاته، بل كان وسيلة لإحداث صدمة شعورية لدى المتلقي. لقد أظهر التحليل التطبيقي لقصيدة (يا دجلة الخير) كيف استطاع الشاعر عبر (التشخيص) أن يمنح الطبيعة حياةً، وعبر (التضاد) أن يجسد الصراع بين الوجود والعدم، وعبر (المفارقة) أن يعبر عن عمق الفجوة بين الواقع والمنشود. وتوصلت الدراسة إلى أن قوة الجواهري البلاغية تنبع من قدرته على المزاوجة بين 'جزالة التراث' و'حيوية التجربة

الحديثة'، مما جعل من بلاغته لغةً حية قادرة على نقل أقصى درجات الانفعال الإنساني من حيز الكلمة إلى حيز الشعور.

وخلصت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج يمكن تلخيصها على النحو الآتي:

١. تُعدّ الاستعارة والمجاز من أبرز الركائز البلاغية حضورًا وتأثيرًا في شعر محمد مهدي الجواهري، إذ وظّفهما توظيفًا بنيويًا عضويًا جعلهما جزءًا أصيلًا من نسيج القصيدة، لا عنصرًا إضافيًا أو زخرفيًا.

٢. تتوزع الأساليب البلاغية في شعره توزيعًا وظيفيًا دقيقًا؛ فالطباق يعكس التوترات الوجودية والصراعات الداخلية، بينما تؤدي الكناية وظيفة الإيحاء وإقامة مسافة جمالية مع الواقع، في حين يسهم الجناس في تعزيز الإيقاع الموسيقي للنص.

٣. تنسجم الظواهر البلاغية في شعر الجواهري انسجامًا عميقًا مع موضوعاته المركزية، ولا سيما قضايا الوطن والمنفى، والحب، والنقد السياسي والاجتماعي، بما يجعل الشكل البلاغي مندمجًا مع المضمون لا منفصلًا عنه.

٤. يمثّل الجواهري حلقة وصل متميزة بين البلاغة العربية الكلاسيكية واتجاهات الشعر الحديث، مؤكّدًا أن الأصالة والتجديد يمكن أن يتكاملا داخل تجربة شعرية واحدة دون تعارض.

٥. تبرز الحاجة إلى دراسات أكثر تخصصًا تتناول شعر الجواهري برمته باستخدام أدوات الأسلوبية الحديثة، بهدف الكشف عن عمق طاقته التعبيرية واتساع أفقه الفني.

قائمة المصادر العربية

أبو الهلال العسكري. (١٩٨٩). الصناعتين (تحقيق مفيدة قميحة، ط. ٣). دار الكتب العلمية.

الراضي. (١٩٩٨). مجلة المدى، العدد ١٩، دمشق.

السامرائي، إبراهيم. (١٩٨٠). لغة الشعر بين جيلين (ط. ٢). المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

الجبوري، عبد الله. (١٩٩٣). الجواهري. نظرات في شعره وحياته. بيروت. دار الكتب العلمية.

الجواهري، محمد مهدي. (١٩٨٦). الجواهري في العيون من أشعاره. دار طلاس للدراسات والنشر.

الجواهري، محمد مهدي. (١٩٩٢). ديوان الجواهري (٤ مجلدات، ط. ٣). دار العودة.

جبران، سليمان. (٢٠٠٣). مجمع الأضداد: دراسة في سيرة الجواهري وشعره. المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

العواودة، ز. أ. (٢٠٠٧). الجواهري الشاعر ناقداً: مختارات "الجمهرة" و"الجواهري في العيون من أشعاره" نموذجين. مجلة جامعة بيت لحم، ١١٤–١٥٢.

السامرائي، إبراهيم. (١٩٨٠). لغة الشعر بين جيلين (ط. ٢). المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

السامرائي، قيس النوري. (١٩٧٩). الاغتراب مفهوماً وواقعاً. مجلة عالم الفكر، ١٠(١)، ١٣.

السامرائي، ضياء عبد الرزاق ليوب. (٢٠١١). الرفض عند الجواهري بين رصد الواقع وتأصيل المثال. جامعة الكوفة، كلية العلوم الإنسانية والتربية، قسم اللغة العربية، العدد ٤، السنة ٢.

السامرائي، علي ناصر غالب. (٢٠٠٨). لغة الشعر عند الجواهري (ط. ١). دار الحامد للنشر والتوزيع.
العرجوم، بلخير، وعلو، عبد الحميد. (٢٠٢٢). الأنماط النصية في التعليم الثانوي: دراسة وممارسة – السنة الأولى جذع مشترك آداب أنموذجاً (رسالة ماجستير). جامعة محمد البشير الإبراهيمي، برج بوعريريج.
القَدَر، فتيحة. (٢٠٢٢). الرؤية الأيديولوجية في الرواية الجزائرية: سنونوات كابول (رسالة ماجستير). جامعة محمد البشير الإبراهيمي، برج بوعريريج.
الموسوي، عبد الصاحب. (١٩٨٨). حركة الشعر في النجف الأشرف وأطواره خلال القرن الرابع عشر الهجري. دار الزهراء.
محمد السيد حسن. (٢٠٢٣). صورة مصر في عيون شعراء العربية: الجواهري أنموذجاً – دراسة تحليلية. مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية، ٤(٤)، ٩٤–١١٢.
معروف، يحيى. (٢٠٠٦). الجواهري: حياته، مخزونه الثقافي وميزاته الشعرية. مجلة العلوم الإنسانية، العدد ١٣.
شعبان، عبد الحسين. (١٩٩٧). جدل الشعر والحياة (ط. ٤). دار الكنوز الأدبية.
سويف، مصطفى. (١٩٦٥). الأسس النفسية للإبداع. دار المعارف.
فيود، بسيوني عبد الفتاح. (١٩٩١). بلاغة تطبيقية: دراسة لمسائل بلاغية من خلال النصوص (ط. ١). مطبعة الحسين الإسلامية.
علوان، علي عباس. (د.ت). تطور الشعر العربي الحديث. دار الشؤون الثقافية، بغداد، ص ٢٥٩.

List of Arabic Sources

Abu Hilal al-Askari. (1989). Al-Sina'atayn (edited by Mufida Qumayha, 3rd ed.). Dar al-Kutub al-'Ilmiyya.
Al-Radi. (1998). Al-Mada Magazine, Issue 19, Damascus.
Al-Samarrai, Ibrahim. (1980). The Language of Poetry Between Two Generations (2nd ed.). The Arab Foundation for Studies and Publishing.
Al-Jaburi, Abdullah. (1993). Al-Jawahiri: Perspectives on His Poetry and Life. Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyya.
Al-Jawahiri, Muhammad Mahdi. (1986). Al-Jawahiri in the Eyes of His Poetry. Dar Talas for Studies and Publishing.
Al-Jawahiri, Muhammad Mahdi. (1992). Diwan al-Jawahiri (4 volumes, 3rd ed.). Dar al-'Awda.
Jubran, Sulayman. (2003). Majma' al-Adhdad: A Study of al-Jawahiri's Biography and Poetry. The Arab Foundation for Studies and Publishing.
Al-'Awawda, Z. A. (2007). Al-Jawahiri the Poet as Critic: Selections from "Al-Jamhara" and "Al-Jawahiri in the Eyes of His Poetry" as Examples. Bethlehem University Journal, 114–152.
Al-Samarrai, Ibrahim. (1980). The Language of Poetry Between Two Generations (2nd ed.). Arab Institute for Studies and Publishing.
Al-Samarrai, Qais Al-Nouri. (1979). Alienation: Concept and Reality. Alam Al-Fikr Journal, 10(1), 13.
Al-Samarrai, Diaa Abdul-Razzaq Layoub. (2011). Rejection in Al-Jawahiri's Poetry: Between Observing Reality and Establishing the Ideal. University of Kufa, College of Humanities and Education, Department of Arabic Language, Issue 4, Year 2.
Al-Samarrai, Ali Nasser Ghaleb. (2008). The Language of Poetry in Al-Jawahiri's Poetry (1st ed.). Dar Al-Hamid for Publishing and Distribution.
Al-Arjoum, Belkhir, and Alou, Abdul-Hamid. (2022). Textual Patterns in Secondary Education: Study and Practice – First Year Common Core Arts as a Model (Master's Thesis). Mohamed El Bachir El Ibrahimi University, Bordj Bou Arreridj.

Al-Qadar, Fatiha. (2022). The Ideological Vision in the Algerian Novel: The Swallows of Kabul (Master's Thesis). Mohamed El Bachir El Ibrahimi University, Bordj Bou Arreridj.
Al-Mousawi, Abdul Sahib. (1988). The Movement of Poetry in Najaf and its Phases during the Fourteenth Century AH. Dar Al-Zahra.
Muhammad Al-Sayyid Hassan. (2023). The Image of Egypt in the Eyes of Arab Poets: Al-Jawahiri as a Model – An Analytical Study. Journal of Human and Natural Sciences, 4(4), 94–112.
Ma'rouf, Yahya. (2006). Al-Jawahiri: His Life, Cultural Heritage, and Poetic Characteristics. Journal of Human Sciences, Issue 13.
Sha'ban, Abdul Hussein. (1997). The Dialectic of Poetry and Life (4th ed.). Dar Al-Kunuz Al-Adabiyya. Suwaif, Mustafa. (1965). The Psychological Foundations of Creativity. Dar al-Ma'arif.
Fayyad, Basyouni Abd al-Fattah. (1991). Applied Rhetoric: A Study of Rhetorical Issues Through Texts (1st ed.). Al-Hussein Islamic Press.
Alwan, Ali Abbas. (n.d.). The Development of Modern Arabic Poetry. Dar al-Shu'un al-Thaqafiya, Baghdad, p. 259.

الجداول او المخططات

جدول (١): البنية المعمارية للقصيدة.

المقطع	عدد الأبيات	الفكرة المحورية	الصور البلاغية الرئيسة
الافتتاحية	١٢	التحية والتمهيد	النهر كـ"سيد"، "أم"، "نهر من نور
الوصف الطبيعي	٢٠	دجلة كقوة خالقة	"ينبوع من نور الشمس"، "ثغر اللجج"، "مُقل النجوم
المشهد الإنساني	١٨	البشر كضيوف، النهر كراعٍ	"أمواج كالأيدي"، "زوارق كالأجنحة"، "الليل كالمظلة
التأمل الفلسفي	١٤	الزمن، الزوال، الخلود	"كأسٌ من نورٍ يُصبّ في كأسٍ من طين"، "دجلةُ التاريخ
الخاتمة	٨	الوعد والولاء	"سأغني باسمك يا دجلة حتى أموت"، "أوراق شجري ستظل خضراء

جدول (٢): الجماليات البلاغية.

الأداة البلاغية	الشاهد من القصيدة	التأثير
التشبيه	"كأن الماء مرآةٌ تُريك وجه السماء"	يخلق صورة بصرية حية
الاستعارة	"النهر يغني أنشودة من لؤلؤ"	يضفي على النهر صفة الفنان
التشخيص	"الليل يمد ذراعه فوق الماء"	يضفي على العناصر الطبيعية إرادة بشرية
التناقض	"في النهار أنت نور، وفي الليل أنت حلم"	يبرز الطبيعة الثنائية للنهر (الواقع مقابل الخيال)
السؤال البلاغي	"من ذا الذي لم يَسْكَرْ بدجلة؟"	يجذب القارئ ويشركه في التأمل
التكرار	"يا دجلة الخير"	يعزز التركيز ويخلق إيقاعًا
مفارقة(Paradox)	"صافية... فما كانت لترويني"	التناقض هنا لتوضيح أن العطش ليس عطش ماء بل عطش لقاء.